البصرة من خلال كتب الرحالة في القرنين
الثالث والرابع الهجريين –التاسع والعاشر الميلاديين

عرض ودراسة : د. سناء عبد الله عزيز الطائي
مركز الدراسات الإقليمية –جامعة الموصل

مقدمة :

ثمة العديد من الدراسات والبحوث حول تاريخ البصرة في عصورها التاريخية المختلفة .وينبع الاهتمام بتاريخ البصرة،من أنها المدينة الأولى التي مصرت خارج الجزيرة العربية عام 14 للهجرة –635 للميلاد . كما أنها كانت في عصور الازدهار من أعظم المدن العربية والإسلامية من حيث الاستقرار الحضاري والعطاء الفكري .لذا أولى المؤرخون، البصرة اهتمامهم، ووضعوا الدراسات التي تتناول أحوالها العامة في إطار شامل .فضلا عن ظهور دراسات أخرى تدور حول جوانب محددة من تاريخها وضمن حقب عديدة ولقلة الدراسات التي بحثت في ماكتبه الرحالة والبلدانيين عن البصرة ألينا على أنفسنا أن نتعرض بالدراسة لما كتبه عدد من الرحالة وخلال الفترة التي اشرنا إليها .

حاولنا في هذه الدراسة أن نقدم نبذة سريعة عن الرحالة والبلدانيين الذين كتبوا عن مدينة البصرة من خلال إشارتنا إلى مؤلفاتهم التي ترجع في تاريخها إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين –التاسع والعاشر الميلاديين وحسب التسلسل التاريخي المعروف لتلك المؤلفات .ويعد أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى 279 للهجرة –892 للميلاد من أوائل الرحالة الذين كتبوا عن البصرة وقد قدم وصفا لها في كتابه المشهور : " فتوح البلدان " .أما احمد بن أبي يعقوب المشهور باليعقوبي المتوفى 284للهجرة –897 للميلاد صاحب كتاب اليعقوبي، فيعد من المصادر البلدانية المهمة ليس في كتابة تاريخ البصرة وحسب بل في كتابة تاريخ المدن في الإسلام .ومما ينبغي التأكيد عليه أن اليعقوبي عرف بأسفاره العديدة التي وصل فيها إلى الهند من جهة المشرق والمغرب ومصر من جهة المشرق وبعد ان قام برحلاته عاد الى بغداد موطنه الأصلي .

أما الرحالة الثالث فكان ابن الفقيه الهمداني المتوفى حوالي 300 للهجرة –912 للميلاد وله كتاب البلدان الذي ترك لنا فيه وصفا دقيقا لمدينة البصرة ومراحل تأسيسها وعمارتها .

كما تطرقنا إلى ماكتبه المؤرخ والرحالة المعروف ابن رسته وهو أبا علي احمد بن عمر المتوفى أوائل القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد وهو صاحب كتاب : " الاعلاق النفيسة " واصله من أصفهان وقد قام برحلته الشهيرة إلى الحجاز وجاء البصرة ووصفها. وللأسف الشديد لم يبق من كتابه الخطير سوى جزء واحد هو الجزء السابع .

ويؤكد الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي، وهو احد ابرز المؤرخين العراقيين المعاصرين المهتمين بتاريخ المدن والبصرة بالذات، إن ابن رسته كان ذا ثقافة واسعة ،وانه قد يكون اطلع على كتاب المسالك للجيهاني، وكتاب المسالك لابن خرداذبة .

ومن الرحالة العرب المشهورين الذين كان للبصرة موقع مهم في كتاباتهم ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالاصطخري والمتوفى في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة –العاشر الميلادي .والاصطخري مؤلف معروف بمنهجه المتميز عن منهج غيره من المؤرخين والرحالة والبلدانيين، فكثيرا ما كان يؤكد بأنه يسير في الكتابة على خطة مرسومة وابرز ما في هذه الخطة انه كان ينظر إلى المنطقة التي يكتب عنها على أنها وحدة قائمة بذاتها ومعنى هذا انه كان يراعي الموانع الطبيعية ويهمل المتغيرات الإدارية لذا جاء وصفه لما كتبه عن البصرة دقيقا ومطابقا للواقع في كثير من الأحيان .

ولا يمكن ان ننسى ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض والذي يعد – بحق – من ابرز المؤرخين والرحالة والبلدانيين العرب، مع ان المعلومات المتوفرة عنه وعن سيرته ومؤلفاته محدودة وقد عرف بشغفه ومتابعته أخبار البلاد والسعي للوقوف على حال الامصار ومنها البصرة وقيل انه كان من الدعاة السياسيين للفاطميين في العراق .وقد وصف بأنه : "كثير الاستعلام " و"دقيق الاستخبار " "محبا للقراءة وللكتب المؤلفة " .وقد تناول في كتابه : "صورة الأرض " ، أقاليم بلاد الإسلام ومنها إقليم البصرة ووصفها إقليما إقليما وصقعا صقعا .

ومن الرحالة العرب المشهورين محمد بن احمد المقدسي البشاري المتوفى 375 للهجرة -985 للميلاد .والمقدسي شامي الأصل وجد أن ما أسماه "المملكة الإسلامية " في القرن الرابع الهجري لم توصف وصفا كافيا من النواحي الجغرافية لذلك قام برحلته وطاف المدن الإسلامية وجاء البصرة وترك لنا وصفا دقيقا للنباتات والأنهار والحيوانات والبحيرات وألف كتابه : " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " وفيه ترك وصفا للبصرة عرف بدقته وموضوعيته مما يجعلنا نفخر بجهده وجهد من سبقه من المؤرخين والرحالة والبلدانيين ويقينا ان اختصاصات اولئك الرحالة لم تقتصر على جانب معين من المعرفة وإنما اتسعت لتشمل جوانب عديدة اخرى اختلط فيها التاريخ بالجغرافية والاقتصاد بالفلسفة وتلك كانت مواصفات أولئك الافذاذ من علمائنا ومؤرخينا وهذا مما جعل كتاباتهم وما تركوه لنا من كتب ومؤلفات بلدانية تعد مصادر أساسية من مصادر دراسة تاريخ المدن في الإسلام ومنها مدينتا العزيزة البصرة .

تسمية البصرة :

كان للبصرة اسماء كثيرة سمية بها منها (الخريبة)[1]،بسبب وجود مدينة قديمة خربه في موقع بناء مدينة البصرة و ذكر اليعقوبي[2] في كتابة البلدان أن تسمية البصرة جاءت لانها كانت معروفة بحجارتها الرخوة المائلة الى البياض ، فإذا حذفوا الهاء قالوا بصر بكسر الباء وقالوا في البصرة بصري وبصرى .

في حين لم يذكر ذلك ابن الفقيه وأبن رسته والاصطخري وابن حوقل . أما المقدسي[3] فيذكر انه اشتق اسمها من الحجارة السود وقيل الحجارة الرخوة .

تمصير المدينة :

لقد كانت البصرة هدفا متميزا من أهداف حركة الفتوحات العربية الإسلامية ، فلقد أرسل الخليفة أبو بكر الصديق(رض) إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير إلى العراق ،والبدء بالابلة أي منطقة البصرة حيث كانت قوات المثنى بن حارثة الشيباني تقاتل في تلك المنطقة، وهي القوة الرئيسة التي كانت تقاتل في العراق ، وعندما قدم خالد الابلة فرق جنده ثلاث .ولم يجمع قواته على طريق واحدة، وكان على مقدمته المثنى بن حارثة الشيباني، وبعده عدي بن حاتم الطائي، وجاء خالد بن الوليد بعدهما . وواعدهم عند الحفير وهو أول منزل من البصرة لمن يريد مكة المكرمة وهو من أقوى مناطق الفرس وأشدها شوكة، وعندما سمع الفرس أن المسلمين تواعدوا عند الحفير، قام هرمز،وهو أمر رقاده الفرس– فسبقهم إلى الحفير ونزل بها واتخذ تشكيلات القتال، واقترن الرجال بالسلاسل لئلا يفروا . فلما علم خالد بأخبار الفرس مال بالناس إلى كاظمة فسبقه هرمز اليها ، وجاء خالد ونزل على غيرها وقال لأصحابه :((ليصبرن في الماء لأصبر المفرقين وأكرم الجندين)) ،وقاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فما ارتفع النهار حتى انهزم الفرس.

وتعد البصرة،الجبهة الثانية التي كانت تستهدف مشاغلة الفرس ومنعهم من إمداد القوات الفارسية الرئيسة التي تقاتل العرب في جبهة الكوفة، غير أن واجباتها سرعان ما اتسعت ،وامتدت لتقوم بفتح إقليم الاحواز ثم الأقاليم الواقعة في وسط وجنوب شرق الهضبة الإيرانية[4].

لقد وردت عدة روايات عن اختيار الرقعة التي بنيت عليها البصرة فيذكر البلاذري [5]: "حدثني على بن المغيرة الاثرم عن أبي عبيدة قال :لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة ، كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله إياها وانه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا ، ويكنسون فيه أذا انصرفوا من غزوهم فكتب إليه أجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والرعى واكتب إلي بصفته ، فكتب إليه أني وجدت أرضا كثيرة القصب في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع فيها قصباء، فلما قرأ الكتاب ، قال : هذه

ارض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب ، وكتب إليه أن انزلها الناس ، فأنزلهم إياها، فبنوا مساكن بالقصب وبنى عتبة مسجدا في قصب، وذلك في سنة أربع عشر" .

ويقول الاصطخري[6]" فالبصرة مدينة عظيمة لم تكن في أيام العجم، وانما اختطها المسلمون أيام عمر بن الخطاب، ومصرها عتبة بن غزوان ، وهي خطط وقبائل كلها، ويحيط بغربيها البادية مقوسا".

أما بن حوقل[7] فيذكر نفس كلام الاصطخري حرفيا، ويذكر المقدسي [8] في كتابه : " أحسن التقاسيم " ان البصرة قصبة سريّة احدثها المسلمون أيام عمر، كتب إلى صاحبه ابن مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق، على بحر الصين فاتفقوا. ونزلها العرب ثم مصرها عتبة بن غزوان" . والظاهر أن عتبة بن غزوان قد تنقل في عدة مواقع عند قدومه إلى أن استقر في الموضع الذي بنيت فيه حول المسجد الجامع ، ويبدو أن المقاتلين اتخذوا ول مقام لهم على شاطيء دجلة، ثم تنقلوا غربا إلىأن استقروا وبنوا البصرة .

خطط البصرة

قسمت البصرة عند تأسيسها إلى خطط سكنت فيها كل عشيرة منطقة سميت باسمها كما هو المعتاد، فقد قال البلاذري[9] : "حدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده ، قال كان عتبة بن غزوان مع سعد بن أبي وقاص، فكتب إليه عمر أن اضرب قيروانك بالكوفة ووجه عتبة بن غزوان الى البصرة فخرج في ثمانمائة فضرب خيمة من أكسية وضرب الناس معه ، وأمده عمر بالرجال، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخريبة اثنتان وبالزابوقة واحدة وفي بني تميم اثنتان وفي الازد اثنتان".

ويفهم من النص المتقدم أن عتبة بن غزوان عندما قدم منطقة البصرة قام ببناء الدساكر السبع فيها في حين يشير الدكتور قحطان عبد الستار الحديثي [10] في بحثه " تحرير البصرة وتمصيرها" والمنشور ضمن موسوعة البصرة الحضارية انه عندما قدم عتبة البصرة كانت فيها سبع دساكر.

مسجد البصرة:

يعد المسجد أول وحدة عمرانية قام ببنائها مؤسس المدينة عتبة بن غزوان ، وقد شغل موضعا مركزيا وسطا في هيئة المدينة الطوبوغرافية ، ولم يكن في بداية آمره بناءا معقدا وقد اكتفى عتبة بن غزوان بعد حصوله على موافقة الخليفة عمر بن الخطاب (

رض) في تمصيرها،قام ببنائه بالقصب ألا انه مع مرور الزمن وتطور العمران أعيده بناءه باستخدام اللبن والآجر .فضلا عن إدخال بعض التحسينات العمرانية فيه ومن بينها مجموعة من الأساطين الضخمة ، والتي عملت من الحجارة الصلبة وجلبت من جبال الاحواز .فيذكر لنا البلاذري[11]: " ثم استعمل معاوية بن أبي سفيان زيادا على البصرة زاد في المسجد زيادة كثيرة وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج " ، وقال : " لاينبغي للأمام أن يتخطى الناس فحول دار الأمارة من الدهناء إلى قبلة المسجد فكان الأمام يخرج من الدار في الباب الذي في حائط القبلة، وجعل زياد حين بنى المسجد ودار الأمارة يطوف فيها وينظر إلى البناء ثم يقول لمن معه من وجوه أهل البصرة أترون خلالا فيقولون مانعلم بناءا احكم منه فقال بلى هذه الاساطين التي على كل واحدة منها أربعة عقود لو كانت أغلظ من سائر الأساطين ، وروى عن يونس بن حبيب النحوي، قال : لم يؤت من تلك الأساطين فقط تصديع ولا عيب، وقال حارثة بن بدر الغداني ،ويقال بل قال ذلك المجاشعي:

بنى زياد لذكر الله مصنعه من الحجارة لم تعمل من الطين

لولا تعاون أيدي الأنس ترفعها أذا لقلنا من أعمال الشياطين

وقال الوليد بن هشام بن قحذم لما بنى زياد المسجد جعل صفته المقدمة خمس سوار، وبنى منارته بالحجارة ، وهو أول من عمل المقصورة ونقل دار الأمارة إلى قبله المسجد، وكان بناؤه إياها لبن وطين حتى بناها صالح بن عبد الرحمن السجستاني مولى بني تميم في ولايته خراج العراق لسليمان بن عبد الملك بالآجر والجص وزاد فيه عبيد بن زياد وفي مسجد الكوفة فبنى عتبة مسجدا من قصب، وذلك قي سنة أربع عشرة فيقال انه تولى اختطاط المسجد بيده ويقال اختطه حجر بن الادرع البهزي بن سليم ، ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلده حين خط داره، ويقال بل اختطه الأسود بن سريع التميمي ، وهو أول من قضى فيه ، فقال له مجاشع ومجالد أبناء مسعد رحمه الله شهرت نفسك فقال :لا أعود ، وبني عقبة دار الأمارة دون المسجد في الرحبة التي يقال لها اليوم رحبة بن هاشم ، وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان وكانوا أذا غزوا نزعو ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فازا رجعوا اعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك"

وقال: دعوت الله أن يرزقني الجهاد ففعل، ودعوته أن يرزقني بناء مسجدي الجماعة بالمصرين ففعل ، ودعوته أن يجعلني خلفا من زياد ففعل .

أما اليعقوبي[12] فقد أتى بمعلومات مختصرة ليست كالتي قدمها لنا البلاذري حيث قال"وأول من اختط البصرة عتبة بن غزوان في خلافة عمر وكانت يومئذ تسمى ارض الهند فكتب إلى سعد بن أبي وقاص ... ، ونزل عتبة سنة 19 ومصرها وبنى مسجدها من قصب وبني دار أمارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم وكانت تسمى

الدهناء وفيها الديوان والسجن وحمام الأمراء فلما ولى ابو موسى نزع القصب وبنى المسجد وكذلك دار الأمارة وبناه زياد بالأجر والجص وسقفه بلساج.

الأنهار:-

كان لموقع البصرة الطبيعي أهمية كبيرة عند اختيارها، ومما زاد في أهميتها الحربية والاقتصادية ووفر لها الحماية والاستقرار هو وجود عدد من الأنهار القريبة منها والتي أعطتها زيادة في التحصينات الطبيعية، آذ تعد الأنهار من التحصينات الطبيعية هذا فضلا عن دورها في تامين مياه الشرب للجيوش الكبيرة وخيولهم ، ويذكر لنا البلاذري [13]" وحدثني الابرم عن أبي عبيدة ، قال قاد أبو موسى الأشعري نهر الابلة من موضع الاجانة إلى البصرة، وكان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس فوهته في دجلة فوق الابلة بأربعة فراسخ يجري في سباخ لاعمارة على حافاته، وكانت الأرواح تدفنه، قال ولما حفر زياد فيض البصرة بعد فراغه من أصلاح نهر الابلة قدم عامر من خراسان فلامه وقال : أردت أن تذهب بشهرة هذا النهر وذكره ، فتباعد ما بينهما وبين أهلها بذلك السبب ، قال أبو عبيدة: كان احتقاره الفيض من لدن دار فيل مولى زياد وحاجبه إلى موضع الجسر".

وروى محمد بن سعد عن الواقدي وغيره أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى بحفر النهر الأخر وان يجريه على يد معقل بن يسار المزني فنسب أليه، ...وقال الوليد بن هشام القحذمي وعلى بن محمد بن آبي سيف ألمدائني، كلم المنذر بن الجادرود العبدي معاوية بن أبي سفيان في حفر نهر ثان ، فكتب إلى زياد فحفر نهر معقل، فقال قوم: جرى على يد معقل بن يسار فنسب إليه، وقال آخرون بل أجراه زياد على يد عبد الرحمن إلى أبي بكرة أو غيره ، فلما فرغ منه وأرادوا فتحه بعث زياد معقل بن يسار ففتحه تبركا لأنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .."

وقالوا : " نهر دبيس نسب إلى رجل فصار يقال له دبيس كان يقصر الثياب عليه، ...وحفر عبد الله بن عامر نهره الذي عند دار فيل، وهو الذي يعرف بنهر الاساوره [14] . وقال بعضهم الاساورة حفروه، ونهر عمر: نسب الى عمر بن آبي سفيان، ونهر أم حبيب نسب الى أم حبيب بنت زياد ، وكان عليه قصر كثير لأبواب قسمي الهزاردر .. "

" ونسب نهر حرب إلى حرب بن سلم بن زياد .. والنهر المعروف بيزيدان: نسب إلى يزيد بن عمر الاسيدي صاحب شرطة عدي بن ارطاة ، وكان رجل أهل البصرة في زمانه " وقالوا: اقطع عبد الله بن عامر بن كريز عبد الله بن عمير بن عمر بن مالك الليثي وهو أخوه لامه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية ثمانية ألاف جريب [15]

فحفرلها النهر الذي يعرف بنهر ابن عمير ، قالوا : وكان عبد الله بن عامر حفر نهرام عبد الله دجاجة ويتولاه غيلان بن خرشنة الضبي"

" ونهر سلم نسب الى سلم بن زياد بن آبي سفيان ، وكان عبد الله بن عامر حفر نهرا تولاه نافذ مولاه فغلب عليه فقيل نهر نافذ "

" ونهر حميدة نسب إلى امرأة من إل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس يقال حميد وهي امرأة عبد العزيز بن عبد الله بن عامر "

" وقال الفحذمي نهر مرة لابن عامر ولى حفره مرة مولى أبي بكر الصديق فغلب على ذكره ، وقال أبواليقضان وغيره: نسب نهر مره إلى مرة ابن أبي عثمان .

" نهر بشار نسب إلى بشار بن مسلم بن عمروالباهلي اخي قتيبة"

" ونهر فيروز نسب إلى فيروز حصين، ويقال الى باشكار كان يقال له فيروز وقال نسب إلى فيروز مولى ربيعة بن كلدة الثقفي"

" ونهر العلاء نسب إلى العلاء بن شريك الهذلي"

" ونهر ذراع نسب إلى ذراع ألنمري من ربيعة وهو أبو هارون بن ذراع"

" ونهر حبيب نسب إلى حبيب ابن شهاب الشامي التاجر في قطيعة من زياد ويقال من عثمان ، ونهر ابن بكرة . نسب إلى بكرة بن زياد"

ونهر الراء صيدت به سمكة تسمى الراء فسمي بها"

" ونهر مكحول نسب الى مكحول بن عبيد الله الاحمس وقال القحذ مي نهر مكحول نسب إلى مكحول بن عبد الله السعدي"

" شط عثمان اشتراه عثمان بن أبي العاص الثقفي من عثمان ابن عفان بمال له بالطائف ويقال انه اشتراه بدار له بالمدينة "

" نهر الأرحاء لأبي عمرو بن أبي العاص الثقفي "

" نهر أبي الخصيب نسب إلى أبي الخصيب مرزوق مولى المنصور أمير المؤمنين" .

ونهر الأمير بالبصرة حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر فكان يقال نهر أمير المؤمنين ثم قيل نهر الأمير "

" نهر ربا للرشيد نسب الى سورجي والقرشي.."

" نهر مقاتل نسب الى مقاتل ابن حارثة بن قدامه السعدي "

" وعسيران نسب إلى عبد الله بن عمير الليثي"

" وسيحان كان للبرامكلة وهم سموه سيحان "

" والجوبرة صيد فية الجوبرة فسمي بذلك "

" نهر البنات، بنات زياد أقطع كل بنت ستين جربا"

" وخالدان نسب إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد ابن أبي العيص بن امية"

"نهر يزيد الاباضي وهو يزيد بن عبد الله الحميري "

" واحتفر بلال نهر بلال وجعل على جنبيه حوانيت ونقل أليها السوق"

" حفر يزيد بن المهلب نهر يزيد في قطيعة لعبيد الله بن أبي بكرة"

" نهر ابن أبي برذعة نسب إلى أبي برذعة بن عبيد الله بن أبي بكرة "

" نهر سلم نسب إلى سلم بن عبد الله بن أبي بكرة "

" النهر الرباحي نسب الى رباح مولى ال جدعان"

" واحتفر كثير بن عبد الله السلمي وهو ابو العاج عامل يوسف بن عمر الثقفي على البصرة نهرا من انهر ابن عتبة الى الخستل فنسب اليه"

" نهر أبي شداد نسب إلى أبي شداد مولى زياد "

"ونهر ماسوران كان فيه رجل شرير يسعى بالناس ويبحث عليهم فنسب النهر اليه"

" نهر التوت قطيعة عبد الله ابن نافع بن الحارث الثقفي "

" كان نهر سليمان بن علي لحسان ابن أبي حسان النبطي" .

" دجلة كانت لعبد الرحمن بن ابي بكرة"

" نهر ابي سبرة الهذلي"

" نهر جعفر كان لجعفر مولى سلم ابن زياد ، وكان خراجيا"

" نهر عدي كان خورا من نهر البصرة حتى فتقة عدي بن ارطاة الفزاري عامل عمر ابن عبد العزيز "

ويذكر اليعقوبي[16]" كان لدجلة البصرة خور والخور طريق للماء لم يحفره احد يجر ي اليها فيه ماء الأمطار ويتراجع ماؤها فيه عند المد وينصب في الجزر وكان طوله قدرفرسخ ونهر الإجانة احتفره أبو موسى قادة ثلاثه فراسخ حتى بلغ به البصرة فكان طول نهر الابلة أربعة فراسخ

" حفر زياد نهر الابلة ونهر معقل.. ونهر عدي ونهر بلبل وباب الاصفهاني حفره مطيع

أما أبن رستة[17] فيذكر ان النهروان هي خزانة أهل البصرة يجتمع فيها المياه وينبت فيها القصب لمنافعهم ومنها سمكهم من الطري والمالح في نواحيها مزارع منها طعامهم ويخرج من هذه البطائح انهار من ذلك نهر المرة ويصب هذا النهر في دجلة العوراء، ومن ذلك نهر يقال نهر أبي الأسد وهو قريب من نهر المرة ويصب في دجلة العوراء ويمتزج هذا الماء بماء البحر الذي يدخل في دجلة العوراء من المد ،ومن ذلك نهر في أسفل البطائح مما يلي قطر انس بن مالك يقال له نهرابن عمر بن عبد العزيز حفره في ولاية بني أميه ليعذب ماء أهل البصرة وطوله أربعة فراسخ من أسفل البطائح إلى فيض البصرة ونهر ابن عمر

يصب في نهر البصرة وما صار في فيض البصرة وقع بن نهر الابلة حتى يخرج إلى دجلة العوراء ثم يقع في بحر الهند

فيذكر الاصطخري[18] أن ذكر بعض أهل الأخبار قالوا أن انهار البصرة عدت أيام بلال بن أبي بردة فزادت على مائة ألف نهر وعشرين نهر، تجري فيها الزواريق ، وقد كنت أنكر ماذكر في عدد هذه الأنهار في أيام بلال بن أبي بردة ... ولكل نهر ينسب به إلى صاحبه الذي احتفره او الناحية التي يصب فيها ، وأشباه ذلك الاسامي...ولها نهر يعرف بنهر الابلة طوله أربعة فراسخ مابين البصرة والابلة ، وعلى حافتي هذا النهر قصور وبساتين متصلة ... وعلى ركن الابلة في نهرها خور عظيم ، يعرف بخور الابلة "

أما ابن حوقل[19] فيقول ذكر بعض المؤلفين من أصحاب الأخبار أن انهار البصرة عدث أيام بلال بن آبي بردة، فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر تجري فيها الزواريق، وكنت انكر ما ذكره من هذا العدد في أيام بلال حتى رأيت كثيرا من تلك البقاع، فربما رأيت في مقدار رمية سهم عدد من الأنهار صغارا تجري في جميعها السميريات ولكل نهر اسم ينسب به إلى صاحبه لذي احتفره او الى الناحية التي يصب أليها ويفرغ ماؤه فيها.."

" ومن مشاهير أنهارها نهر الابلة وطوله أربعة فراسخ مابين البصرة والابلة ...

ويبدوان كلام ابن حوقل مشابه ومطابق لكلام الاصطخري

أما المقدسي[20] فيذكر" الابلة على دجلة عندفم نهر البصرة من الشمال الجامع اعلي القرية ... وسائر المدينة انهار من جانبي دجلة عن يمين وشمال وجنوب شمال..

<u>حمامات البصرة</u> : يرتبط أنشاء الحمامات العامة وتطويرها في المدن العربية الإسلامية بأمرين أولهما الطهارة الواجبة في الدين الإسلامي والثاني هو الوعي الواضح والاستجابة الحقيقية للحاجات الحضرية[21] ومن الطبيعي أن تشيد الحمامات وتتميز البصرة بحماماتها الكثيرة .

فيذكر لنا البلاذري[22]"" كان أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد الله بن عثمان ابن أبي العاصي الثقفي، وهو موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة وعند قصر عيسى بن جعفر ثم الثاني حمام فيل مولى زياد ، ثم الثالث حمام مسلم ابن أبي بكرة وهو الذي صار لعمر بن مسلم الباهلي، فمكثت البصرة دهرا وليس بها الا هذه الحمامات"

وحدثني المدائني قال ، أبو بكرة لابنه مسلم : يأبني والله ماتلى عملا ومارك تقصر عن أخوتك في المنفعة ، فقال: أن كتمت على أخبرتك ، وقال فاني أفعل، قال: فأني اغتل من حمامي هذا في كل يوم ألف درهم وطعاما كثيرا، ثم أن مسلما عرض فأوصى إلى أخيه عبد الرحمن بن أبي بكرة واخبره بغلة حمامه فأفشى ذلك واستأذن السلطان في بناء حمام ،

كانت الحمامات لاتبنى بالبصرة ألا بأذن الولاة فأذن له، فاستأذن عبيد الله بن أبي بكرة فأذن له ، واستأذن الحكم بن أبي العاص فأذن له، واستأذن سياه الاسواري فأذن له، واستأذن الحصين ابن أبي الحر العنبري فأذن له واستأذنت ربطة بنت زياد فأذن لها، واستأذنت لبابه بنت أوفى الجرش فأذن لها في حمامين احدهما في أصحاب البقاء، والأخر في بني سعد واستأذن المنجاب بن راشد الصبي فأذن له، وأفاق مسلم بن أبي بكرة من مرضه وقد فسدت عليه غلة حمامة فجعل يلعن عبد الرحمن ويقول ماقطع الله رحمة

وقال بعضهم وقد حصرته الوفاة

يارب قائلة يوما وقد لغبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

يعني حمام المنجان بن راشد الضبي وقال عباس مولى بني أسامة:

ذكرت البند في حمام عمرو فلم أبرح إلى بعد العشاء

وحمام بلج نسب إلى بلج بن نشبة السعدي الذي يقول له زياد

ومحترس من مثله وهو حارس

أما اليعقوبي[23] فيذكر أن" أول حمام اتخذ بالبصر ة حمام عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، وهو موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة ثم الثاني حمام فيل مولى زياد ثم الثالث حمام مسلم بن أبي بكرة وحمام منجاب ينسب إلى منجاب بن راشد الضبي وقال الشاعر .

يارب قائلة يوما وقد لغبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

كما ويذكر اليعقوبي[24] أن هناك حمام خاص بالأمراء يقع في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم وكانت تسمى الدهناء ويظهر لنا انه كان هناك حمامات خاصة بالأمراء وحمامات خاصة بالعامة .

أما المقدسي[25] فلم يذكر شيء عن حمامات البصرة سوى أنها حمامات طيبة .

الخاتمة:

أن نشوء المدن وتطورها ، يعد ظاهرة حضارية مرت بها المجتمعات في العالم، وقدر لبعض من تلك المدن أن تتقدم وتشتهر بفعل عوامل دينية أو اقتصادية أو سياسية وظهرت لنا عدة مؤلفات تختص بدراسة المدن وخططها ومساجدها وأسواقها وقصورها وأنهارها، وتعتبر كتب الرحلات من المصادر المهمة لدراسة تاريخ تلك المدن وذلك لما قدمته لنا من معلومات مهمة ، فعلى الرغم من أن أهداف كل رحلة تختلف عن اهداف

الرحلات الأخرى ألا أنها تعكس مدى اهتمامهم بتلك المدن التي زاروها وتعكس تلك المؤلفات مدى دقة وانتباه كل واحد منهم.

ونحن من خلال دراستنا لاحظنا أن هناك فرقا بين رحالة وأخر في المعلومات في حين تطابق معلومات أخرى وقمنا بتقدم المعلومات بطريقة أفقية وذلك لأننا راينا فيها فائدة أعمم واشمل مما لو قدمنا الدراسة بطريقة طولية فلقد قمنا بذكر خطط المدينة والمساجد والحمامات وألا أفضل من ذكر ماقاله البلاذري مثلا كاملا ثم ماقاله اليعقوبي وهكذا وعسى أن تكون الفائدة اعم واشمل من اجل أعطاء أمكانية اكبر لمقارنة تلك النصوص فيما يخص موضوع بحثنا

الهوامش والمصادر

(1) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر ت (279هـ /892م) ، فتوح البادان، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م، 341.

(2) احمد بن أبي يعقوب اسحق بن جعفر ت (284هـ/ 897م) ، البلدان ، النجف، الطبقة الحيدرية، 1918م، 187.

(3) محمد بن احمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري ت(375هـ / 985م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن، مطبعة بريل، 1906م، 118.

(4) للمزيد ينظر موسوعة البصرة الحضارية التاريخية، جامعة البصرة، المركز الثقافي ، مطبعة التعليم العالي 1989، 7-13.

(5) فتوح البلدان،341.

(6) إبراهيم بن محمد ت(346هـ/957م)، المسالك والمعالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة

محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومية، 1961،56 .

(7) أبو القاسم النصيبي ت(367هـ/977م) ، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة،1979م،212.

(8) أحسن التقاسيم،117.

(9) فتوح البلدان، 345.

(10) الحديثي، المصدر السابق ص10.

(11) فتوح البلدان 342.

[12] البلدان، 188.

[13] فتوح البلدان،352-366.

[14]الجراجمة: هي لفظة أطلقت على الجراجمة الذين ينتسبون في تسميتهم غلى مدينة جرجومة الواقعة على جبل اللكام ، وكانوا يشكلون أقلية في المنطقة قبل الفتح الإسلامي ،البلاذري ، فتوح البلدان، 173، ويذكر الاصفهاني أن الجراجمة يعودون في أصلهم إلى الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وكان يطلق عليهم عدة تسميات ففي البصرة الاساورة وفي الجزيرة الخضارمة وفي الكوفة الاحامرة في الشام الجراجمة، أبو الفرج الاصفهاني، كتاب ألاغاني،بيروت، دار صعب، ج16،ص78.

[15] الجريب: هو اسم لمقدار من الأرض. وهو مكيال إسلامي يستعمل أثناء العصور الإسلامية وهو يساوي أربعة أقفزة أي 48صاعاً وعند الحنفية الجريب يساوي 156كيلو غرام وعند الجمهور 97,92 كيلو غرام ، للمزيد ينظر الحموي، معجم البلدان.

[16] البلدان،188-190

[17] الاعلاق النفيسة،94

[18] المسالك والمعالك،57.

[19] صورة الأرض،212.

[20] أحسن التقاسيم 118.

[21] العلاف، الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل، حمامات الموصل في العهد العثماني.

[22] فتوح البلدان،348-349.

[23] البلدان، 188-189.

[24] البلدان، 188.

[25] أحسن التقاسيم، 118